

ألف حكاية وحكاية (١٠٣)

أم فوق الجليد القاتل

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشاروني



رسوم

عبد الرحمن بكر

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

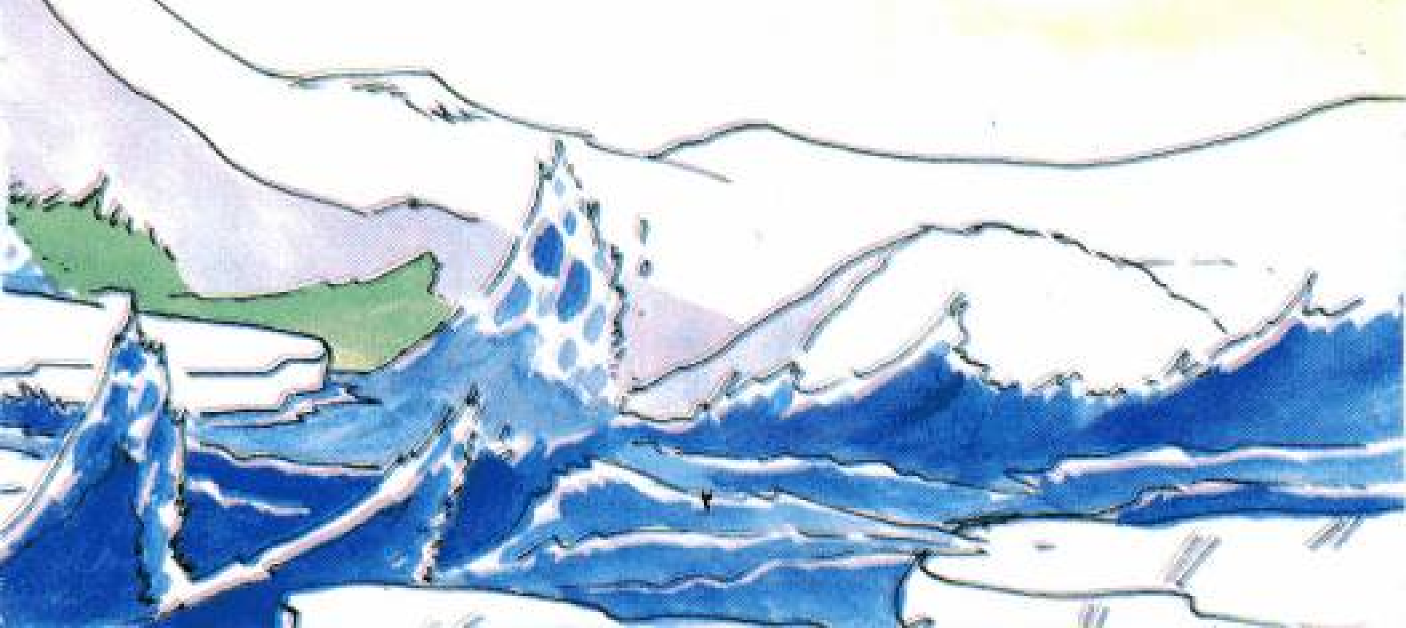
أم فوق الجليد القاتل

فى روايةِ " كوخ العم توم " ، التى كانَتْ من أهمِّ أسبابِ قيامِ حربِ تحريرِ العبيدِ فى أمريكا سنةَ ١٨٦١ ، نقرأ عن أمِّ الطفلِ الأسودِ الصغيرِ " هارى " ، الذى باعَهُ سيدُهُ إلى تاجرِ عبيدٍ قاسى القلبِ . لكنَّ الأمَّ ، لكى لا ينتزعوا منها ابنَها ، قرَّرَتْ أن تهربَ به إلى كندا .

وفى طريقِها إلى الحدودِ ، كان عليها أن تعبرَ نهرًا مُتَّسعًا . وتوقَّعَتْ أن تجدَ سطحَ النهرِ مُتجمِّدًا ، فتستطيعَ السيرَ فوقَ الجليدِ إلى الشاطئِ الآخرِ .. لكنها فوجئَتْ بأن الجليدَ الذى يُغطِّى سطحَ الماءِ قد بدأ يذوبُ ويتفكَّكُ إلى قِطَعِ ثلجٍ عائمةٍ ، أصبحَ من الخطرِ الشديدِ السيرُ فوقَها ، وإلاَّ تعرَّضَتْ لخطرِ الغرقِ المُؤكَّدِ هى وابنُها .

وفوجئَتِ الأمُّ بتاجرِ العبيدِ يظهرُ أمامَها ، لينتزعَ منها ابنَها .

وفى شجاعةٍ نادرةٍ ، قفزَتِ الأمُّ إلى قطعةِ ثلجٍ طافيةٍ وسطَ



تيارات ماءِ النهرِ السريعةِ . وظلّتْ تقفزُ من قطعةِ ثلجٍ عائمـةٍ إلى قطعةٍ أخرى ، حتى رأتْ ، كأنها في حُلمٍ ، الضفةَ الأخرى ، بينما تـاجرُ العبيدِ قد منَعهُ الخوفُ من عبورِ النهرِ بهذه الطريقةِ الخطرةِ مثلَها ، فوقَفَ يملؤهُ الغيظُ ، لا يستطيعُ أن يفعلَ شيئًا .

وتَقدَّمَ لمساعدتِها رجلٌ عجوزٌ وهو يقولُ : " تعالَيْ يا فتاتي .. سأساعدُكِ .. أنتِ فتاةٌ شجاعةٌ ، وأنا أحبُّ الشجاعةَ . "



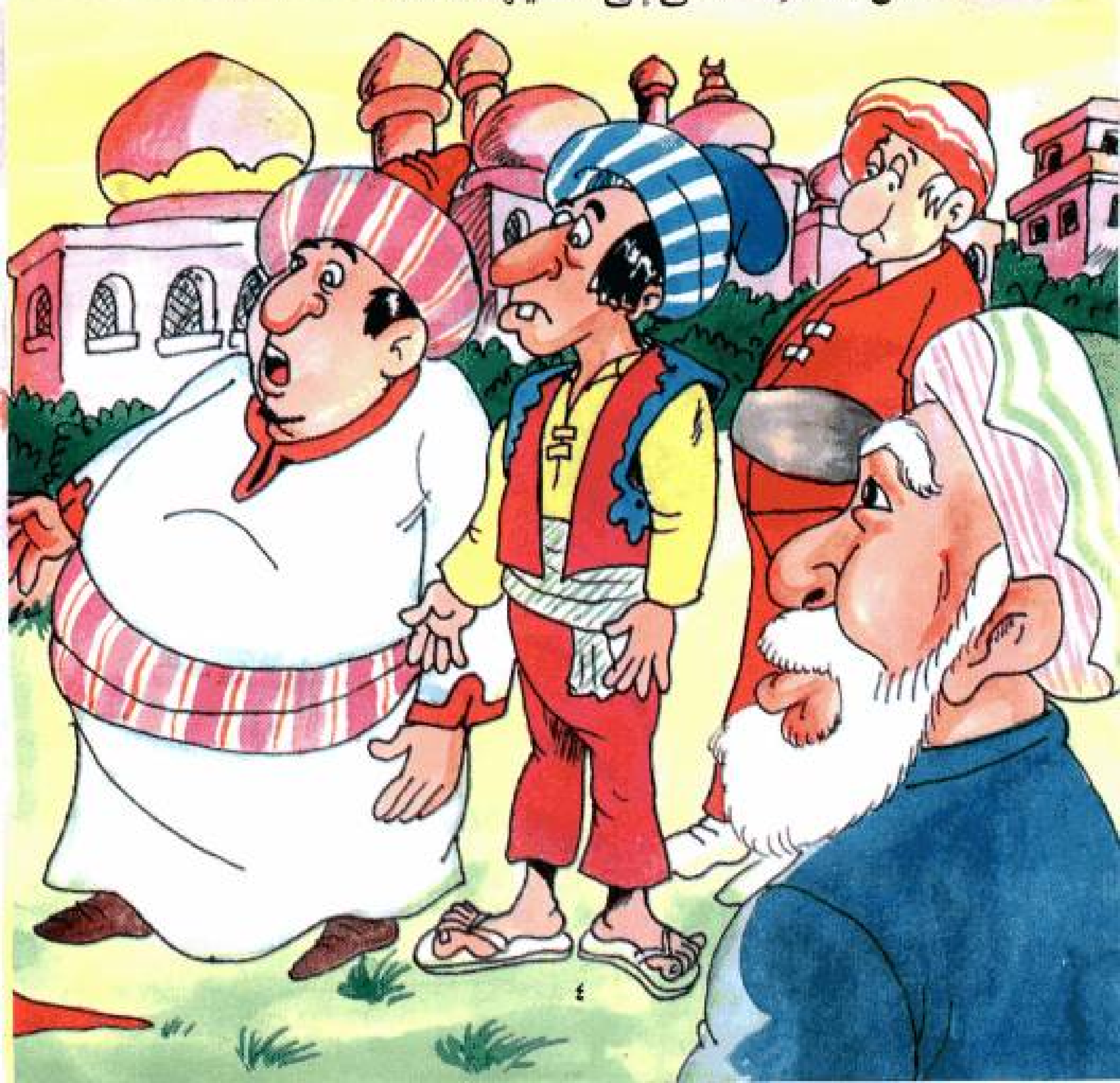
لا ينقص من قدرى

ذاتَ يومٍ ، ادَّعىَ جحا أنه أحدُ الأولياءِ ، فقالَ له الناسُ : " وما الدليلُ على ذلك ؟ "

فقالَ : " إنى آمرُ الأشجارَ أن تجىءَ ناحيتى فتُطيعُنى . "

فقالوا له : " إذن قلْ لهذه النخلةِ أن تجىءَ إليكَ . "

فقالَ للنخلةِ : " تعالَىْ إلى هنا أيتها النخلةُ . "



فلم تتحرَّكْ طبعًا . وكرَّرَ جحا هذا ثلاثَ مراتٍ ، والنخلةُ لا تتحرَّكُ من مكانِها .

فقامَ جحا ومشى ناحيةَ النخلةِ ، فسألَهُ الناسُ : " إلى أينَ أنت ذاهبٌ يا جحا ؟ "

فقالَ : " إن الأولياءَ ليس عندهم غرورٌ ، فإذا كنْتُ قد قلْتُ لها تعالَيْ فلم تجئْ ، فلا يُنقِصُ من قدرى أن أذهبَ أنا إليها !! "



جمل يحمل عسلاً

تقولُ الحكاياتُ العربيةُ : إن ثلاثةَ أخوةٍ خرجوا فى طريقهم إلى بلدٍ بعيدٍ . وأثناءَ الطريقِ ،رأوا رجلاً مُضطربًا ، قد أصابَهُ إرهاقٌ شديدٌ ، تَقدَّمَ نحوَهم وسألَهم : " ألم تروا جملاً مرَّ من هنا ؟ لقد سرقَ اللصوصُ جملى !! "

فقالَ له الأخُ الأكبرُ : " جملُكَ هذا قطعَ طريقًا طويلاً ، وأصابَهُ التعبُ ، أليسَ كذلك ؟! "

فأجابَ الرجلُ : " نعم . "

فقالَ الأخُ الثانى : " هل جملُكَ هذا أعورُ العَيْنِ اليُسرَى ؟ "

أجابَ الرجلُ : " نعم .. نعم " .

وسألَهُ الأخُ الأصغرُ : " وهل كانَ يحملُ عسلاً ؟ "

فقالَ الرجلُ :

" إذن رأيتموه .. أخبِرونى بسرعةٍ أين هو . "

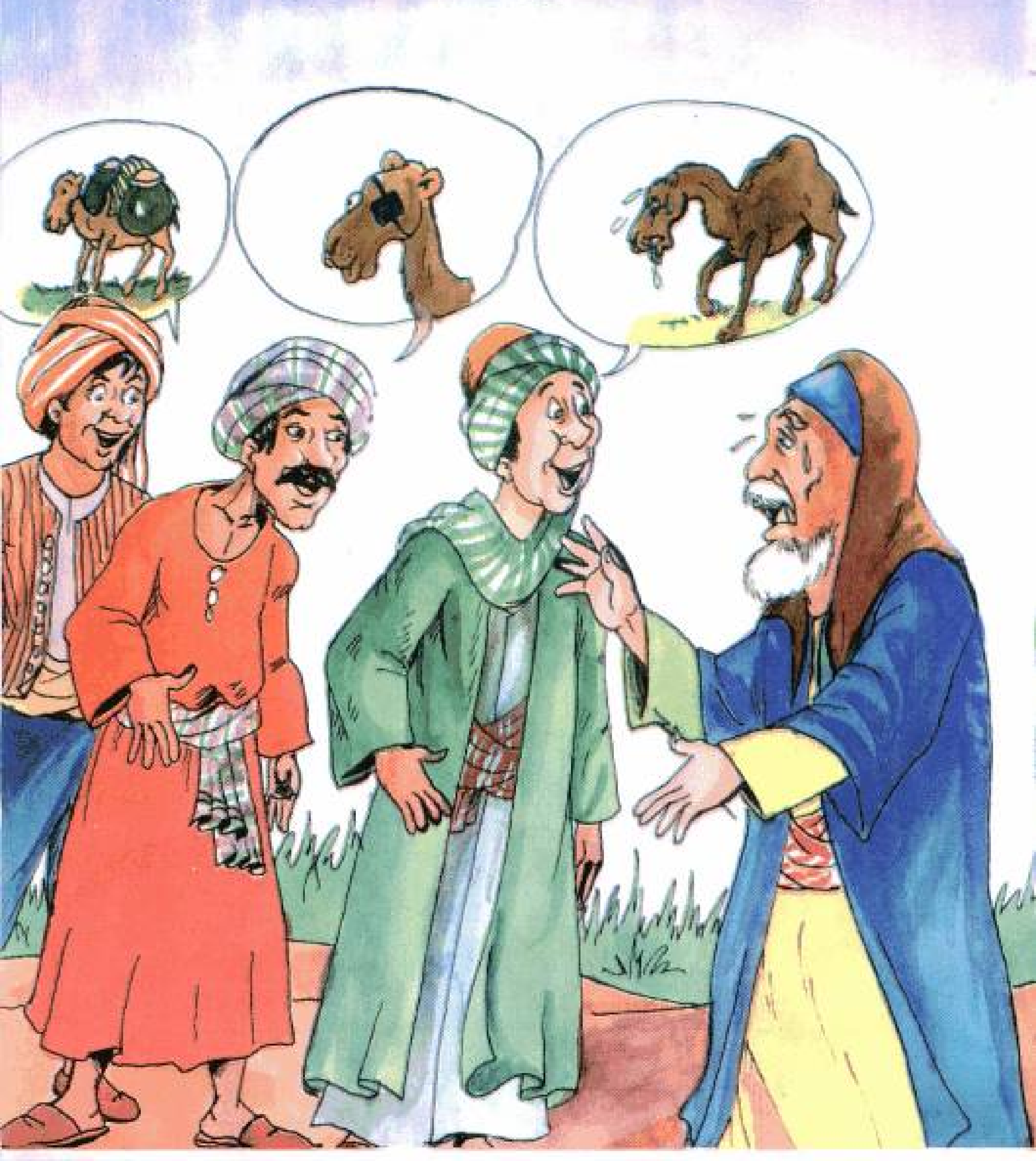
فأجابَ الأخوةُ : " لكنَّنا لم نَرهُ . "

غضبَ الرجلُ وقالَ : " لابد أنكم سرقْتُمُ الجملَ وأخفيتموه فى مكانٍ ما ، وإلاَّ كيفَ عرفْتُم هذه الأوصافَ ؟! "

قالَ الأخُ الأكبرُ : " لقد عرفْتُ أن الجملَ قطعَ طريقًا طويلاً من أثرِهِ ، فالحيوانُ المُتعَبُ يجرُّ سيقانَهُ ، فتصبحُ آثارُها طويلةً . "

وقالَ الأخُ الثانى : " أما أنا ، فعرفْتُ أن الجملَ أعـورُ العـينِ اليسرى ، لأن العشبَ كانَ مأكولاً على جانبِ الطريقِ الأيمنِ فقط . "

وقالَ الأخُ الأصغرُ : " ولم يكنْ من الصعبِ أن أعرفَ أن الجملَ كانَ يحملُ عسلاً ، فقد كانَتْ أسرابُ الذبابِ تُحلِّقُ فوقَ الطريقِ !! "



اختيار زوجة

أرادَ أحدُ الرجالِ أن يتزوَّجَ ، فرشَّحَ صديقٌ له ثلاثَ فتياتٍ ، ورأى الرجلُ أن يختبرَ أخلاقَهُنَّ ، فأعطَى لكلِّ واحدةٍ مجموعةً من اللآلئِ ، وسألَهُنَّ عن رأيِهِنَّ .

فقالَتِ الأولى : " في حياتي لم أرَ أجملَ من هذه اللآلئ ."

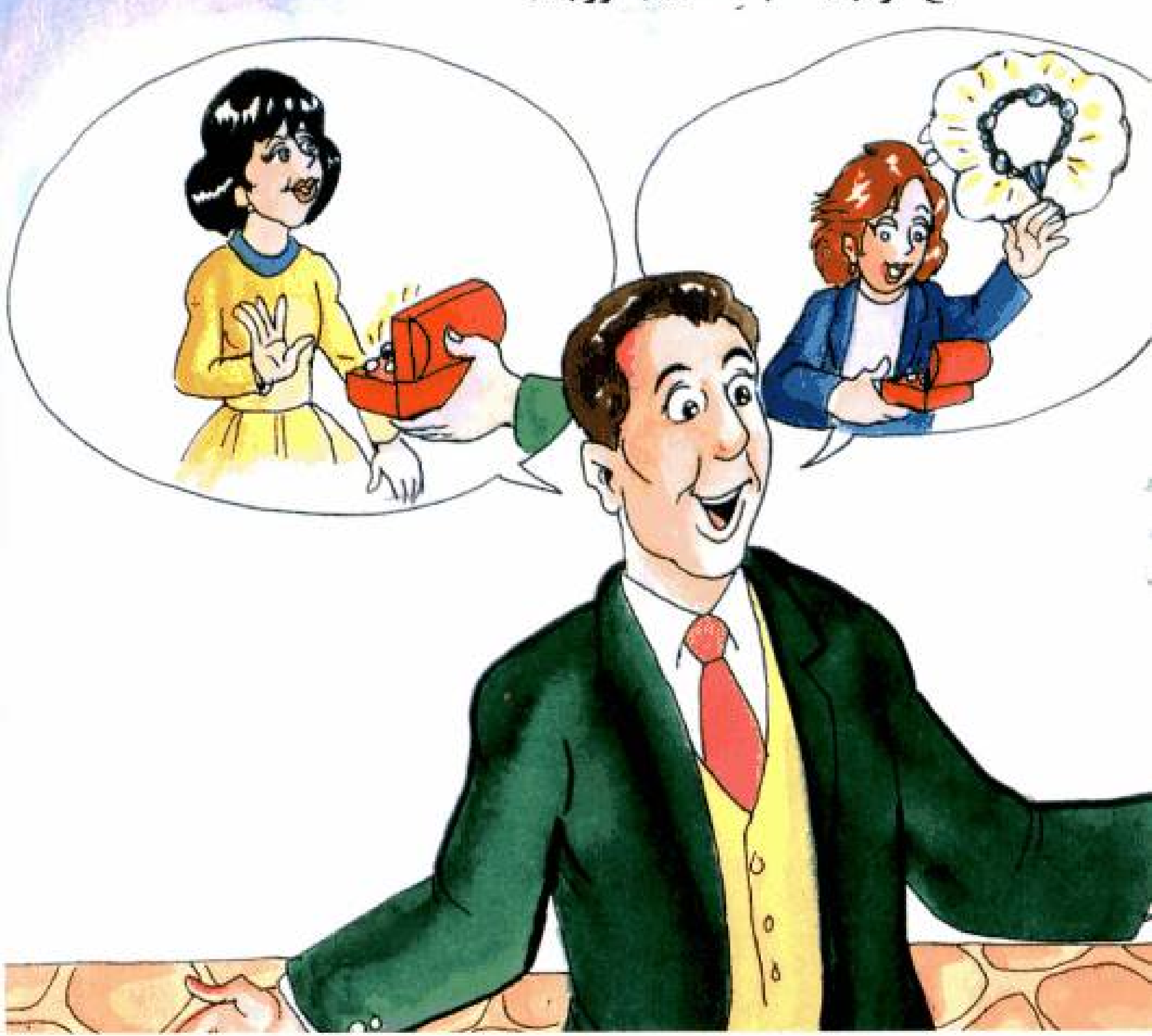
وقالَتِ الثانيةُ : " لو أضيفَتْ إلى هذه اللآلئِ قطعةٌ من الماسِ ، لتَكَوَّنَ منها عقدٌ فريدٌ ."

أما الثالثةُ فقالَتْ : " لسْتُ في حاجةٍ لهذه اللآلئِ ، أنا يكفيني الحبُّ وحدَهُ . "



وذهبَ الرجلُ إلى أحدِ الحكماءِ ليسألَهُ المشورةَ فى هذه الإجاباتِ ، فقالَ له الحكيمُ :

" إذا كُنْتَ تُريدُ أن تختارَ زوجةً فاخترِ الأولى ، لأن إجابتَها تدلُّ على أنها فتاةٌ عاقلةٌ ، ترضَى بالواقعِ وتسعدُ به . أما الثانيةُ ، فإن إجابتَها تدلُّ على أنها فتاةٌ طمَّاعةٌ ، لا يكفيها ما عندَها . والثالثةُ إجابتُها تدلُّ على أنها فتاةٌ خياليةٌ ، لا تعيشُ الواقعَ ، وبذلك لا تستطيعُ مواجهةَ أعباءِ الحياةِ الزوجيةِ . "



لأننى حر

فـى سنةِ ١٨٤٨ ، قـامَتْ فـى فرنسـا ثـورةٌ أسـقطَتِ النظـامَ الإمبراطوريَّ ، وأرجعَتِ الجمهوريةَ . وكانَ الناسُ فى باريس يُعلِنـون عن تأييدِهم للجمهوريةِ بأن يضعوا فوقَ ملابسِهم زرًّا يمثِّلُ العلـمَ الفرنسِيَّ المُثلَّثَ الألوانِ .

لكنَّ أحدَ كبارِ المؤلِّفينَ ، وكانَ عضوًا فى الأكاديميةِ الفرنسـيةِ ، أكبرِ هيئةٍ أدبيةٍ فى فرنسا فى ذلك الوقتِ ، لم يهتمَّ بأن يُزيِّـنَ سترتَهُ بالعَلَمِ المُثلَّثِ الألوانِ ، وكـانَ يتَّجِهُ ذات يـومٍ لحضـورِ اجتماعٍ مهمٍّ للأكاديميةِ ، عندما أوقفَهُ أحدُ المارةِ ، وسألَهُ بكلِّ فظاظةٍ كأنـه يوجِّهُ إليه اتهامًا بالخيانةِ :

" أيها المواطنُ .. لماذا لا تضعُ فى عروتِكَ شارةَ الحريةِ ؟ "

وفورًا أجابَ الكاتبُ الكبيرُ : " لأننى حرٌّ ، أيها المُواطِنُ ! "



ليس غريبًا أن تبقى وحيدة !

وقفَتْ بومةٌ فوقَ غصنِ شجرةٍ ، وقد ظهرَ عليها الحزنُ الشديدُ ، حتى إن حمامةً طارَتْ ووقفَتْ إلى جانبِها ، وسألَتْها في إشفاقٍ : "لماذا كلُّ هذا الحزنِ والاكتئابِ ؟ "

قالَتِ البومةُ وهي تئنُّ : " أنا عجوزٌ مريضةٌ وحيدةٌ ، ولا أحدَ يسألُ عنِّي ، أو يأتي لزيارتي . "

سألَتْها الحمامةُ : " أليس لك أطفالٌ ، أو عائلةٌ ، أو أصدقاءُ ؟ "

نعقَتِ البومةُ وصاحَتْ : " تقولينَ أطفالٌ ؟! ما أكثرَ مشاكلَهم ! أمَّا عن الزوجةِ ، فلم يكُنْ عندي وقتٌ للبحثِ عنها .. وعلى أيةِ حالٍ ، فحياةُ الأسرةِ كلُّها متاعبُ ومسئولياتٌ . كذلك لا أريدُ أن أسمعَ أيَّ حديثٍ عن الأصدقاءِ .. وخذي منِّي النصيحةَ .. إنك لا تستطيعينَ الثقةَ بأيِّ صديقٍ !! "

وعادَتِ الحمامةُ تسألُ : " لكنْ .. ألم تحاولي أبدًا أن تهتمِّي بأحدٍ ؟ "

أجابَتِ البومةُ العجوزُ بنعيبٍ عالٍ غاضبٍ ، وقالَتْ : " أبدًا !! "

عندئذٍ قالَتِ الحمامةُ : " لماذا إذن تشعرين بكلِّ هذا الأسفِ على نفسِكِ ؟! من الواضحِ أنه ليس غريبًا أن تبقي وحيدةً ، ولا تجدي مَنْ يأتي ليتحدَّثَ إليكِ ! "

وسرعانَ ما طارَتِ الحمامةُ مبتعدةً بأسرعِ ما تستطيعُ .



حتى لا تنسى

ذهبَ رجلٌ إلى أحدِ الأطبَّاءِ ، وأرادَ أن يسخرَ منه ، فقالَ له :
" أنا مُصابٌ بثلاثةِ أمراضٍ ، الأولُ أننى ضعيفُ الذاكرةِ ، والثانى أننى ضعيفُ حاسةِ التذوُّقِ ، والثالثُ أننى كثيُر الكذبِ . "
وفهمَ الطبيبُ أنه أمامَ شخصٍ ماكرٍ ، فأخذَ مسحوقًا ومزجَهُ بزيتِ الخروعِ ، وصنعَ منه عجينةً أعطاها للرجلِ ، وأصرَّ أن يمضغَها



أمامَهُ . فتناولَها الرجلُ ساخرًا ، وبعدَ قليلٍ صرخَ : " ما هذا يا دكتور ؟! إنه مُرُّ الطعمِ ، كريهُ المذاقِ جدًا !! "

فقالَ له الطبيبُ : " هذا هو دواؤكَ يا صديقي ، فقد تحسَّنَتْ حاسةُ التذوُّقِ لديك ، وأصبحتَ تقولُ الصدقَ ، وأرجو ألا تنسى هذا العلاجَ طَوالَ حياتِكَ !! "



بنود واضحة .. سهلة الفهم !!

رغمَ أن الأمريكيينَ يعرفون جيدًا أن الضرائبَ هي وسيلةُ الحكومةِ لتقديمِ مختلفِ الخدماتِ للمواطنين ، مثلِ المدارسِ والمستشفياتِ والطرقِ والأمنِ وغيرِها ، فإنهم يسخرون من ارتفاعِ المبالغِ التي يدفعونَها للضرائبِ سنةً بعدَ أخرى . من ذلك هذا التحذيرُ الساخرُ الذي نشرتْهُ إحدى الصحفِ ، وقالَتْ فيه :

لا تدهشْ أيها القارئُ إذا وصلَكَ نموذجُ الإقرارِ السنويِّ عن دخلِكَ ، وهو الإقرارُ الذي يجبُ أن تقدِّمَهُ إلى مصلحةِ الضرائبِ عن العامِ الماضي ، وقد تضمَّنَ أربعةَ بنودٍ واضحةٍ مختصرةٍ ، سهلةِ الفهمِ والتنفيذِ ، على الوجهِ الآتي :

(١) كم كانَتْ مصروفاتُكَ ؟

(٢) كم كانَ دخلُكَ في العام الماضي؟

(٣) ما مقدارُ ما تبقَّى معَكَ ؟

(٤) أرسِلْهُ إلينا !!

إمضاء : مصلحةُ الضرائبِ !!



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها ، من الأدب الشعبي ، والعربي القديم ، والعالمي .